رسالة النبا عن الوبا " لابن الوردي ت 749هـ
– دراسة في تقنيات السرد –
Ibn Alwardi's "The Epistle of the Plague", 749 AH, A Study of Narrative Techniques

د. سعدة طفيف مبارك الدعدي
الأستاذ المشارك بقسم الأدب
جامعة أم القرى– مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية
كلية اللغة العربية
البريد الالكتروني saadaeldaadi2018@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/10 - تاريخ القبول: 2021/07/14 - تاريخ النشر: 2021/06/30

Summary

The study deals with Ibn Alwardi's narrative techniques in his The Epistle of the Plague. It is an epistle of historical events focusing on the plague that spread all over the world in 749 AH and caused a humanitarian crisis. In his epistle, Ibn Alwardi narrated the plague events. He sheds light on its circumstances that cause a social crisis at that time and relies on the narrative techniques as an aesthetic style for monitoring these events.
, literature review followed by an analysis of the following narrative techniques: action, time and place, characters, plot, dialogue, conflict, and narrative language
Keywords: epistle, narrative, Ibn Alwardi, techniques, plague.

الملخص

تتناول هذه الدراسة تقنيات السرد في رسالة " النبا عن الوبا " ، وهي رسالة ترصد أحداثاً تاريخيةً، تتمحور حول وباء الطاعون الذي اجتاح العالم قاطبة عام 749هـ، وعمَّ جهات الأرض، وتسبَّب في أزماتٍ كارثية ، وقد سرد أحداث هذا الوباء، الأديب ابن الوردي، مسلطاً الضوء على ملابساته، ومصوراً أزمة المجتمع المنوطة به آنذاك، معتمداً على تقنية السرد أسلوبًا فنيًا ؛ لرصد الأحداث. فكانت هذه الدراسة بعنوان " رسالة النبا عن الوبا لابن الوردي ت 749هـ – دراسة في تقنيات السرد " وجاءت تركز على سردية الحدث في الرسالة بوصفها ظاهرة فنية لافتة للانتباه لها أبعادها الفنية.وقد صُدِّرت الدراسة بمقدمة، فإضاءة حول الجو العام للدراسة ، أعقبتها معالجة تحليلية تتناول التقنيات السردية، من حيث: الحدث، الزمان والمكان، الشخصيات، الحبكة، الحوار، الصراع، لغة السرد.

الكلمات المفتاحية: رسالة النبا – نثرية – السرد – ابن الوردي – التقنيات – الوباء.

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وبعد:

فإنَّ للعمل السردي خاصيته الحكائية من حيث إحداث الإثارة والتشويق وإمتاع المتلقي، بالإضافة إلى ما يكمن فيه من وجوه العبرة والعظة، ولعلَّ استجلاء تقنيات السرد في النص الأدبي، توجهٌ جدير باهتمام الدارسين؛

إذ يكشف عن قدرة المبدعين في كيفية تناول مادتهم الحكائية، وكلما كانت هذه المادة حدثاً واقعياً، كلما كانت أدعى للتشويق والانجذاب لقربها من المتلقي.

والأدب مرآة العصر وتصوير للحياة،ولاشك أن تراثنا الأدبي يزخر بأحداثٍ تاريخيةٍ حاول أن يرصدها المبدعون متبعين التقنيات السردية، ومنها رسالة " النبا عن الوبا "، وهي رسالة ترصد أحداثاً تاريخية واقعية، تتمحور حول وباء الطاعون، الذي اجتاح العالم قاطبة عام 749 هـ، وعمَّ جميع أنحاء الأرض، وتسبَّب في أزماتٍ كارثية عطَّلت سبل الحياة، وقضت على الكثير من سكان الأرض في ذلك الوقت ، وقد سرد أحداث هذا الوباء، الأديب ابن الوردي، مسلطاً الضوء على ملابساته، ومصوراً أزمة المجتمع المنوطة به آنذاك، معتمداً على تقنية السرد أسلوبًا فنيًا لرصد الأحداث. ومن هنا انبثقت فكرة هذا البحث مُحَاوَلةً لربط الأدب بالواقع المعيش، ولعل ما أكَّد الرغبة في خوض غمار هذا البحث، احتواء الرسالة النثرية على أحداثٍ تاريخية واقعية، تعكس حالاً معاصراً كابدناه مع " فيروس كورونا – كوفيد 19"،[1] ولاسيما قد ظهر أن أغلب من تناول ابن الوردي، تناول شعره ومقاماته دون رسائله .

أما رسالته "النبا عن الوبا "، فلم تحظَ باهتمام واضح من الباحثين، فهناك من تناولها تناولاً سريعاً في موضوع بعنوان " أزمنة الوباء : السخرية والموت في مقامة ابن الوردي عن الطاعون" لـ فادي عوض، الذي تناولها على اعتبار أنها مقامةً وليست رسالة نثرية وقد أشار إلى هدفه من موضوعه قائلا: "المقامة – بالتعريف – فنٌ ضاحك، وهدف ابن الوردي وهدفي أيضا من تسجيل نصه، هو الضحك والتضاحك على هامش الكارثة." وهو بتوضيح ذلك يبـيِّن توجُّهـه الـذي يبعـدُ عـن توجُّـه دراسـتي، وعـدم التقائهمـا فـي المعالجـة والتنـاول والتحليـل (www.medinaportal.com)

- وهناك دراسة بحثية علمية بعنوان: " رسالة النبأ عن الوبا لزين الدين بن الوردي ت749 هـ – دراسة نقدية " لرائد عبد الرحيم، (مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، نابلس، فلسطين، مج 24 , (5) 2010م.)

وهي دراسة إن كنت قد أفدْتُ منها في بعض جوانبها، إلاَّ أنها أيضاً لا تتقاطع مع بحثي، فقد أخضع الباحث الرسالة النثرية للدراسة النقدية – موضوعاً وفناً – أما المعالجة البحثية التي اتبعتها، فقد تركزت على سردية الحدث في الرسالة بوصفها ظاهرة فنية لافتة، فكان هذا البحث الموسوم بـ " رسالة النبا عن الوبا ت749هـ لابن الوردي – دراسة في تقنيات السرد ". اخترت له المنهج الوصفي التحليلي المناسب للوقوف على الحدث، وتحليل خيوط السرد فيه، وبيان فعاليته ووظيفته التأثيرية في الكشف عن الفن والمضمون.

وسارت الدراسة على خطة، تبدأ بمقدمة، تليها إضاءة حول الجو العام للدراسة، تزَدْفها المعالجة السردية التي تتناول تقنيات السرد في الرسالة من حيث: الحدث، الزمان المكان، الشخصيات، الحبكة، الحوار، الصراع، لغة السرد. ثم تأتي الخاتمة تضم أهم النتائج،فالتوصيات، تعقبها قائمة الهوامش والتعليقات، فالمصادر والمراجع.

- **إضاءة**

سجل التاريخ الإسلامي أزمات وكوارث متعاقبة على سكان الأرض، ورصد أحداثاً ومشاهد أثارت الرعب في

قلوب البشر، وعطَّلت حركة الأحياء، كما كان الحال مع وباء طاعون 749 هـ المميت.

وقد قام المؤرخون بنقل الصراع البشري مع هذا الطاعون، وتقديم مشاهد درامية، ضمنتها ثنايا مؤلفاتهم، فقال ابن تغري بردي في وصف هذه السنة: إنها كثيرة الوباء والفساد بمصر والشام، الذي لم يقع مثله في سالف العصور، وكان يموت فيها ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشرة ألف نفس؛ وعُمِلت التوابيت والدكك لتغسيل الموتى بغير أجرة، وحُفِرت الحفائر، وكانت الحفيرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر، وكان الموت بالطاعون، حين ترى الإنسان يبصق دماً ثم يصبح ويموت، ومع هذا عمَّ الغلاء الدنيا، ولم يكن هذا الوباء كما عهد من قبل، فعمَّ جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر ، وكان أول ابتداؤه بمصر والقاهرة في النساء والأطفال والباعة، واشتد الوباء، حتى عجز الناس عن حصر الموتى ، وكان الإنسان يحس في نفسه بحرارة، ويجد غثياناً، فيبصق دماً ويموت عقيبه، ويتبعه أهل داره واحداً بعد واحد حتى يفنوا جميعاً بعد ليلة أو ليلتين، ولم يبق أحد إلاَّ وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء ، وخلت أزقة وحارات عديدة من الناس، ويقال: إن هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدة خمسة عشر سنة، قلت: رأيت أنا هذا الوباء، فكان يسمونه الفصل الكبير ويسمونه بسنة الفناء، ويتحاكون عنه ما حكيناه[2] وتوالت أخبار الطاعون، واستفحل الموت،قال ابن كثير في ذلك : و"في هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين، وزاد الأموات كل يوم على المائة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا وقع في أهل البيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم"[3] وعمَّ الوباء أرجاء الأرض جميعها " وامتدَّ إلى أواخر المحرم من العام الآتي، ولم يعهد نظيره فيما مضى، فإنه طبق شرق الأرض وغربها ودخل حتى مكة المشرفة، وما سلم منه سوى طيبة المكرمة "[4] ومن آثاره ارتفاع الأسعار، فقالوا في ذلك:" وفيه ترافعت الأخبار بوقوع الوباء، وارتفع السعر وفشت الأمراض، وتزايد بعد ذلك حتى كان الوباء العظيم "[5] ومن شدة فنائه بالناس سموه بالفناء العظيم، فقالوا:" وفي هذه السنة وقع الطاعون بالديار المصرية، وعمَّ سائر البلاد، وكان فناءً عظيماً جداً "[6] وزاد عدد الموتى واستفحل الوباء , فقد بلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان، وشمل الموت أهل الضياع، وكان أواخر زمان الحرث، فكان الرجل يوجد ميتاً والمحراث في يده، ويوجد آخر قد مات وفي يده ما يبذره، وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم[7].

وقد قام ابن الوردي برصد الأحداث المصاحبة لاستشراء هذا الوباء العظيم ، في رسالته " النبأ عن الوبا " واصفاً ما وقع بالعالم آنذاك، وسلَّط الضوء على المجتمع الحلبي إبان تفشي مرض الطاعون المميت .

وابن الوردي هو " عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري، زين الدين ابن الوردي، الفقيه الشافعي، الشاعر المشهور، نشأ بحلب وتفقه بها، ففاق الأقران، وأخذ عن القاضي شرف الدين البازري بحماة، وعن الفخر خطيب جبرين بحلب"[8].

وهو " أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه تفنن في العلوم، وأجاد في المنثور والمنظوم، نظمه جيد إلى الغاية، وفضله بلغ النهاية "[9] وقيل في وصف شعره أيضاً "شعره أسحر من عيون الغيد، وأبهى من

الوجنات ذات التوريد "[10]وقيل أيضاً:" نظمه في الذروة العليا والطبقة القصوى، وله فضائل مشهورة"[11]وأيضاً من الوصف الطريف لشعره قولهم:" شعره أحلى من السكر المكرَّر، وأعلى قيمة من الجوهر ".[12]وقيل في وفاته إنه " توفى في سابع عشر ذي الحجة، تسع وأربعين وسبعمائة، بحلب في الطاعون[13]و "قد جاوز الستين"[14] .

كان لابن الوردي مكانة فقهية وأدبية عظيمة، وله مصنفات عدة، يمكن الرجوع إليها في الكتب التي تناولت ترجمته، ولعل ما يهمنا في هذا المقام رسالته النثرية التي سرد فيها خبر الطاعون وأزمة الوباء آنذاك[15]، وقد صنفها بعض المؤرخين ضمن فن المقامات، غير أن ابن الوردي جعلها ضمن أدب الرسائل، وسمَّاهما " النبأ عن الوبا "[16]وسوف يتم معالجتها في هذه الدراسة وفق ما أوردها ناسجها في ديوانه[17].

- **فن الرسائل :**

يُعد فن الرسائل من الفنون الأدبية القديمة ، له صفحات مضيئة على مر العصور الأدبية ، فالرسائل الأدبيّة من أهم فنون السرديات ، تعددت أغراضها حتى أصبحت قادرة على استيعاب أكثر الموضوعات التي تناولها الشعر ، فأصبحت الرسائل تطرق جميع أبواب الأدب الخالص ، وتعبر عن أهم موضوعاته ، بأسلوب جديد يخرج عن التقليد كما فعل ابن الوردي في رسالته . محل الدراسة . التي عنون لها بـ " **رسالة النبأ عن الوبا** " حيث إن الرسائل الأدبية والتي هي شكل من أشكال النثر الفني تكون موجهة لفرد من الأفراد يقصده المرسل بخطابه ورسالته، إلا أن ابن الوردي توجه برسالته هذه إلى الأمة جميعها .

والرسائل: ضرب من ضروب النثر يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة[18]، فالرسائل فن أدبي له تقنياته السردية ، وأدواته الفنية التي يعمد إليها الكاتب؛ لتكسب عمله صبغة أدبية تجذب القارئ ، وتساعد أيضًا على توضيح المعنى وإفهامه .

- **نص رسالة " النبأ عن الوبا "**

" الله لي عدة، عند كل شدة، حسبي الله وحده، أليس الله بكافٍ عبده ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وسلم، ونجنا بجاهه من طعنات الطاعون وسلم، طاعون روَّع وأمات ، وابتدأ خبره من الظلمات، يا له من زائر، من خمس عشرة سنة دائر، ما صين عنه الصين ولا منع من حصن حصين، سل هنديًا في الهند، واستند على السند، وقبض بكفيه وشبك على بلاد أزبك، وكم قصم من ظهر، فيما وراء النهر، ثم ارتفع ونجم، وهجم على العجم، وأوسع الخطى، إلى أرض الخطا، فيما وراء النهر، وقرم القرم، ورمى الروم بجمر مضطرم، وجر الجرائر إلى قبرص والجزائر، ثم قهر خلقًا بالقاهرة، وتنبهت عينه لمصر فإذا هم بالساهرة، وسكن حركة الإسكندرية، فعمل شغل القز الحريرية، وأخذ من دار الطراز طراز الدار، وصنع بصناعها ما جرت به الأقدار.

اسكندريةُ ذا الــويا سبعٌ يــمدُّ إليكِ ضبعَه

صــبراً لقسمتِهِ الــتي تــركتْ منَ السبعينَ سبعَهْ

ثم تيمم الصعيد الطيب، وأبرق على برقة منه صيب، ثم غزا غزة، وهز عسقلان هزة، وعك إلى عكا،

واستشهد بالقدس وزكى، فلحق من الهاربين الأقصى بقلب الصخرة، ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في كره، كما طوى المراحل، ونزل بالساحل، فصاد صيدا، وبغت بيروت كيداً، ثم سدد الرشق، إلى دمشق، فتربع وتميَّد، وفتك كل يوم بألف أو أزيد، فأقل الكثرة، وقتل خلقًا ببترة، فالله تعالى يجري دمشق على سنتها، ويطفي لفحات ناره عن نفحات جنتها.

أصـــلحَ اللهُ دمشقاً وحـــماها عَـنْ مسبَّهْ

نفسُها خـسَّتْ إلى أنْ تـــقتلَ النـــاسُ بحبَّهْ

ثم مز المزة، وبرز إلى برزة، وركب تركيب مزج بعلبك، وأنشد في قارة قفا نبك، وغسل الغسولة، وبلغ من كسوف شمس شمسين سوله، وطرح على الجبة برشه، وأزيد على الزبداني نعشه، ورمى حمص بجلل، وصرفها مع علمه أن فيها ثلاث علل، ثم طلق اللكنة في حماة، فبردت أطراف عاصيها من حماه.

يـــــا أيها الطاعونُ إنَّ حماةَ مِنْ خيرِ البلادِ ومِنْ أعزِّ حصونِها

لا كنتَ حينَ شَمَمْتَها فسمَمْتَها ولثمْتَ فـــــاها آخذاً بقرونها

ثم دخل معرة النعمان، فقال لها أنت مني في أمان، حماة تكفي في تعذيبك، فلا حاجة لي بك.

رأى المعرةَ عيناً زانَها حَوَرٌ لكنَّ حـــاجبَها بالجوْرِ مقرونُ

ملذا الذي يصنعُ الطاعونُ في بلدٍ فـي كلِّ يومٍ لهُ بالظلمِ طاعونُ

ثم سرى إلى سرمين والفوعة، وشنع على السنة والشيعة، وسن للسنة أسنته شرعًا، وشيع في بلاد الشيعة مصرعًا، ثم أنطى أنطاك بعض نصيب، ورحل عنها حياء من نسيانه ذكرى حبيب، ثم قال لشيرز والحارم لا تخافا مني، فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عني، فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية، وأخذ من أهل الباب، أهل الألباب، وباشر تل باشر، وذلل ذلول وقصد الوهاد والتلاع، وقع خلقًا من القلاع، ثم طلب حلب، ولكنه ما غلب، فهو ولله الحمد أخف وطأة، ولم أقل كزرع أخرج شطأه.

إنَّ الـوبا قـــدْ غلبا وقـدْ بـــدا في حلبا

قالوا لــه على الــورى كــافٌ ورا قلـــت وبا

ومن الأقدار، أنه يتتبع الدار فمتى بصق واحدٌ دمًا ، تحقق كلهم عدما ، ثم يسكن الباقين الأجداث ، بعد ليلتين أو ثلاث.

ســـألتُ بارئَ النسمْ فـــي دفعِ طاعونٍ صَدَمْ

فَمـــنْ أحسَّ بلعَ دمٍ فـــــقدْ أحـسَّ بالعدمْ

اللهم إنه فاعل بأمرك فارفع عنا الفاعل، وحاصل من عند من شئت فاصرف عنا الحاصل، فمن لدفع هذا الهول، غيرك يا ذا الحول.

اللهُ أكبرُ مِـنْ وباءٍ قدْ سبا ويصولُ في العقلاءِ كالمجنونِ

سنَّتْ أسنتُهُ لـكلِّ مدينةٍ فعجبتُ للمكروهِ في المسنونِ

كم دخل إلى مكان فحلف لا يخرج الّا بالسكان، ففتَّش عليهم بسراج ،وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج ، استرسل ثعبانه وانساب وسمي طاعون الأنساب ،وهو سادس طاعون وقع في الإسلام، وعندي أنه الموت الذي أنذر

به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

حـــلـبٌ واللهُ يكفي شـــرَّها أرضُ مـــشقهْ
أصـــبحتْ حيَّةَ سوءٍ تـــقتلُ الـــناسَ ببزقَهْ

فلو رأيت الأعيان بحلب وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض ، ويكثرون في علاجه من أكل النواشف والحوامض قد تنغص عيشهم الهني، بملاطخة مسلم الطينة الطين الأرمني، وقد لاطف كل منهم مزاجه وعدل، وبخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والسعد والصندل، وتختموا بالياقوت، وجعلوا البصل والخل والصحنا من جملة الأدم والقوت، وأقلوا من الأمراق والفاكهة، وقربوا إليهم الأترج وما شابهه، ولو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى، وسمعت بكل قطر من حلب نحيبًا وصوتًا، لوليت منهم فرارًا، ولأبيت فيهم قرارًا، فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا، وعاشوا بهذا الموسم وعرفوا من الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا، فهم يلهون ويلعبون، ويتقاعدون على الزبون

اســوتَّتِ الشـهباءُ في عـــينيَّ مِـــنْ رممٍ وغثِ
كـــادت بنـو نعشٍ بها أَنْ يـــلحـقوا بينات نعشِ

فنستغفر الله من هوى النفوس فهذا بعض عقابه، ونعوذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عذابه.

قـالوا فسادُ الهواءِ يُردي فقـــلتُ يردي هوى الفسادِ
كـــم سيئاتٍ وكم خطايا نـــادى عليكم بها المـنادي

ومما أغضب الإسلام، وأوجب الآلام، أن أهل سيس الملاعين، مسرورون لبلائنا بالطواعين، حتى كأنهم منه في أمان، أو عليه أن لا يقربهم ضمان، أو كأنهم إذا ظفروا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا

سكانُ سيسَ يسرُّهمْ ما ساءنا وكذا العوائدُ مِنْ عدوِّ الدينِ
اللهُ ينـــقلُهُ إليهمْ عاجلاً ليمزِّقَ الطـاغونَ بالطاعونِ

هذا وهو للمسلمين شهادة وأجر، وعلى الكافرين رجز وزجر، إذا صبر المسلم على مصيبته فالصبر عبادة، وقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أن المطعون شهيد فهذا الثبوت حكم بالشهادة، وهذه الخفية، تعجب الحنفية، فإن قال قائل هو يعدي ويبيد، قل بل الله يبدئ ويعيد، فإن جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأوّل، قلت قد قال الصادق عليه السلام فمن أعدى الأول، ولو سلمنا فتكه بأهل الدار، فهو بإرادة الفاعل المختار، كان وكان.

أعوذ بالله ربي، من شر طاعون النسب، باروده المستعلي، قد طار في الأقطار، فتاش دهاشاته، ساعي لصارخ مارثا، ولا فدى بذخيرة دولابه الطيار، يدخل إلى الدار ويحلف، ما يخرج إلا بأهلها، معي كتاب القاضي، بكل من في الدار، ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزود للرحلة.

فـــهـــذا يوصِّي بأولادِهِ وهـــــــــذا يودِّعُ جيرانَهُ
وهـــــذا يهيِّئُ أشغالَهُ وهـــذا يُجهِّزُ أكفانَهُ
وهـــذا يصالحُ أعداءَهُ وهـــذا يلاطف إخوانَهُ
وهـــــذا يوسِّعُ إنفاقَهُ وهـــذا يخالِلُ مَنْ خانَهُ

وهـــذا يحبِّسُ أملاكَه وهـذا يحرِّرُ غِلْمـانَهُ
وهـــذا يُغيِّرُ أخلاقَهُ وهـــذا يـــعيِّرُ ميزانَهُ
ألا إنَّ هــذا الوبا قَدْ سَبا وَقــدْ كانَ يرسلُ طوفانَهُ
فلا عــاصمَ اليومَ من أمره ســوى رحمةِ اللهِ سبحانَهُ

وما منعنا الفرار منه إلا التمسك بالحديث، فهلم بنا نستغيث إلى الله تعالى في رفعه فهو خير مغيث، اللهم إنا ندعوك بأفضل ما دعاك به الداعون، أن ترفع عنا الوباء والطاعون، لا نلتجئ في رفعهما إلا إليك، ولا نعول في العافية منهما إلا عليك، نعوذ بك يا رب الفلق من الضرب هذه العصا، ونسألك رحمتك فهي أوسع من ذنوبنا ولو كانت عدد الرمل والحصى، ونتشفع إليك، بأكرم الشفعاء لدي، محمد نبي الرحمة، أن تكشف عنا هذه الغمة، وأن تجيرنا من الوبال والتنكيل، وأن تعصمنا فأنت حسبنا ونعم الوكيل "

- **تقنيات السرد في رسالة " النبأ عن الوبا ت 749 هـ "**

السرد في اللغة:" تقدمة شيء إلى شيء، تأتي به منسقاً بعضه في إثر بعض متتابعاً. سرد الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيِّد السياق له "[19].

اصطلاحاً: هي " الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص، وحتى المبدع الشعبي / الحاكي؛ ليقدِّم بها الحديث إلى المتلقي فكأن السرد إذن هو نسج الكلام ولكن في صورة حكي "[20] وهو" يعني المصطلح الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار، سواء كان من صميم الحقيقة أو من ابتكار الخيال "[21].

فالسرد هو الآلية التي يعتمد عليها المبدع في القص،مرتكزاً على مكوِّنات حكائية : الحدث والزمان والمكان، والشخصيات وما يموج فيها من حوار وصراع،و متكئاً على القوى التوليدية للحبكة؛ لإمتاع المتلقي، ولتسيير دفة السرد إلى نقطة النهاية.

فهو " نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور ، وجعله قابلاً للتداول ، سواء كان هذا الفعل واقعياً أو تخييلياً "[22].

ومن العناصر السردية التي سيتم تناولها في رسالة " النبأ عن الوبا– 749 هـ ": الحدث – الزمان والمكان – الشخصيات – الحبكة وما فيها من حوار وصراع – لغة السرد.

لكن قبل الحديث عن العناصر السردية لابد وأن نتحدث عن عتبة العنوان ؛ لما لها من أهمية بالغة ، ودلالة واضحة في العمل الأدبي ، لا سيما فن الرسائل .

- **سيميائية العنوان :**

إن التصور السيميائي للعنوان يضع يدنا على تصور للدلالة الحقيقية لنص الرسالة ، لأن العنوان يقصد به رسم صورة واضحة المعالم لهذا المنحى الفكري، وعنوان هذه الرسالة « رسالة النبا عن الوبا » رسم صورة واضحة لأحداث الرسالة وفكرتها الكلية .

فالعنوان عبارة عن : « مجموعة علامات لسانية ... تصور وتعين وتشير إلى المحتوى العام للنص »[23].

لذا فإن عنوان الرسالة يعد عتبة مهمة ، ينبغي على جميع الدارسين الوقوف عندها بتأنٍ وإمعان ، فنجد أن العنوان والرسالة يدخلان في علاقة تكاملية وترابطية الأول يعلن ثم يأتي الثاني ؛ ليفسر القول ويفصل ما ذكره الأول ، وعليه فالعنوان بمثابة العلامة والإعلان عن العمل القادم ، وهو أيضاً بمثابة الظاهر الذي يكشف عن باطن .

وعلى هذا الأساس يعد عنوان الرسالة « رسالة النبا عن الوبا » هو النواة الدلالية الأولى التي تتفجر منها الدلالات الفرعية الأخرى مثل آثار وباء الطاعون وما تسبب فيه من أزمة في المجتمع ، وغيرها من الدلالات المكتسبة من لفظة « الوبا » .

- **الحدث**

يُعد الحدث العنصر الأساس في العمل السردي، فهو مادته الحكائية التي تدور في فلكها الشخصيات، وتتأطر في نسيجه حدود الزمن ومساحات المكان، ولابد أن يعرض بطريقة بها قدر من الإثارة والتشويق، حتى يكون جذاباً متوهجاً، ويحقق الهدف المنشود من سرده. والحدث عبارة عن "سرد قصصي موجز أو قصير يتناول موقفاً واحداً، وحينما تنتظم معاً ويجمعها خيط واحد بطريقة مترابطة تصبح سلسلة أحداث في الحبكة "[(24)]. فهو كل ما يؤدي إلى عمل أو تغيير أو حركة بين شخصيات العمل الأدبي ، وهو عنصر التشويق ، والمعبر عن أفكار و سلوك الشخصيات.

و الحدث في رسالة "النبأ عن الوبا" يتمحور في رصد الوقائع التاريخية المتمركزة حول الكارثة الوبائية لمرض الطاعون، التي طال سكان الأرض، وروَّع جميع البشر، وقضى على كثير منهم فتكًا وموتًا، فابن الوردي بدأ بذكر الحدث الكارثي في تفشي وباء الطاعون فقال: " **طاعون روَّع وأمات**" ، وهو الحدث الرئيس الذي تدور حوله الأحداث ، ثم استمر في سرد الحدث ذاكراً أسماء الأماكن التي تضررت من الطاعون ابتداءً من الصين، وبيَّن كيف أخذ الوباء في الاستفحال والهجوم، حيث لم يسلم منه أهل الدار الواحدة ذاكراً أعراض هذا الداء الفتاك، وما يُلحقه بالإنسان من ضرر يصل إلى الموت فقال: "ومن الأقدار، أنه يتتبع الدار، فمتى بصق واحدٌ منهم دمًا تحقق كلهم عدمًا، ثم يسكن الباقين الأجداث، بعد ليلتين أو ثلاث" ، ثم ينتقل بالأحداث واصفًا استبداد الطاعون وخطورته قائلاً : "كم دخل إلى مكان، فحلف لا يخرج إلا بالسكان، ففتش عليهم بسراج، وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج، استرسل ثعبانه وانساب، وسمي طاعون الأنساب" ، وكأن هذا الطاعون إنساناً ، دخل إلى بيت فأقسم ألا يخرج إلا بمن يقطن في هذا المكان إشارة إلى انتهاء أجلهم ، وقد صور الكاتب عملية البحث عن الضحايا داخل البيت بصورة رائعة يصف فيها هذا الوباء برجل يمسك في يده سراجاً ينير له العتمة عند البحث عمن يصيبهم، فكان مصدر إزعاج للجميع .

ثم أخذ الكاتب بالسرد مصوراً ذُعر الناس من هذا الوباء، فجاءت الرسالة النثرية تحمل بين طياتها مضامين هذا الحدث الكارثي التاريخي، الذي عاش تفاصيله ابن الوردي، وسرده بمداد المعاناة، مسلطاً الضوء على ما كابده العالم برمته آنذاك، مركزًا على صور ومشاهد ومواقف، قاسته حلب على وجه الخصوص باعتبارها مدينته التي نشأ فيها، وقد صور فزع أعيان حلب من تفشي هذا الوباء، ورصد استنفارهم بالبحث عن العلاج، مع الأخذ باحترازاتٍ وقائية في المطعم والمشرب، فقال: " فلو رأيت الأعيان بحلب وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض،

ويكثرون في علاجه من أكل النواشف والحوامض" مما يدل على عظم البلاء ، وشدة الوباء .
فقد تميز الحدث في الرسالة بالتتابع ، وهو أكثر أنواع الحدث تداولاً حيث الترابط والتتابع والتسلسل بين الأحداث الفرعية ليكوِّن لنا بذلك حدثًا موحدًا ، وهو ما ظهر جليًا في أحداث هذه الرسالة .
فقد سارت الأحداث في هذه الرسالة بتتابع وتسلسل مُتقن لم تقطعه سوى وقفات وصفية قليلة أفادت السرد ، ومقاطع تم فيها تسريع السرد .

الزمان والمكان

المكان والزمان متكاملان يكمل الثَّاني منهما الأول ، والأول لا يستغني عن الثَّاني حتَّى أنَّ الدراسات الحديثة اختصرتهما في كلمة واحدة هي (الزمكان) ، ويتداخلان تداخلاً مباشراً في شخصيات العمل الأدبي وأحداثه ، ويمكن الاصطلاح عليهما بلفظ البيئة : فبيئة العمل الأدبي هي حقيقته الزمانية والمكانية ، أي كل ما يتَّصل بوسطه الطَّبيعي وبأخلاق الشَّخصيات وشمائلهم وأساليبهم في الحياة [(25)].

وللعنصر الزمني قيمته الفاعلة، في العمل السردي، فهو يحدد ملامح الحدث المسرود، فيتقاسم مع العنصر المكاني أهمية تسيير الأحداث وضبطها لدى المتلقي، فلا يصاغ حدث دون الإشارة إلى زمن تم تحديده بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تقع الأحداث في إطاره، وتتحرك في حدوده تفاصيل الخبر.
والزمن المحدد في رسالة " النبأ عن الوبا " هو ما سماه الدارسون بزمن السرد، أو زمن الخطاب، ويقصد به "الزمن الذي يقدّم السارد من خلاله القصة، ويكون بالضرورة مطابقاً لزمن القصة "[(26)] .

وقد حدَّد ابن الوردي صيغة واضحة في رسالته،تضع المتلقي على حدود زمن انتشار الوباء دون تشعب، فحدد الحقبة الزمنية، التي وقعت فيها الأحداث مستخدماً لغة مباشرة لا تعقيد فيها أو التفاف، ولا تؤدي إلى تشتيت المتلقي أو تربكه،فمنذ أطل من خلال نصه الأدبي لم يتوانَ عن تأكيد زمن الحدث المسرود، وتحديد بداية الوباء بقوله:" وابتدأ خبره من الظلمات، يا له من زائر من خمس عشرة سنة دائر" فابن الوردي يحدد وقوع الوباء وبداية أحداثه منذ خمس عشرة سنة، عاث فيها بالأرض فساداً، وانتقل من بلد إلى بلد، وعم الأرجاء، مشيراً إلى بدايته باستخدام الفعل " ابتدأ "، الذي يدل على حدث وقع في زمن ماضٍ، وهذه تقنية فعالة في العمل السردي وتحديد زمنه، إذ أن من الطبعي أن السارد لا يشرع في النقل أو السرد إلاَّ بعد وقوع الحدث، وقد ينقله في زمن تكون الوقائع ما زالت مستمرة في السريان، آخذة في الدوران، لكن بداية الحدث وقعت بالفعل ، كما هو الحال مع ابن الوردي، وهو يسرد تفاصيل الوباء، الذي استشرى وروَّع ودمَّر، حيث ظهر اقتران الأحداث مع زمن السرد .

كما أن هذه الطواعية الزمنية التي استخدمها الكاتب تكشف عن إبداعه، وجودة نتاجه الأدبي ، وتنم عن مهاراته الفنية الفائقة ، والتجريب بأدوات فنية ، وتقنيات حديثة كانت لها عظيم الأثر في إثراء الرسالة ، وظهورها في صورة متميزة . فالزمن يُعد من أهمِّ العوامل التي أثرت بشكل أساسي على بنية الرسالة من البداية إلى النهاية.

أما العنصر المكاني فهو كذلك يحتل مساحة مركزية في العمل السردي، ويعد مطلباً ضرورياً لا ينفصل عنه ولا يستوى بدونه، وله ثقله من حيث ارتباطه بالعنصر الزمني وتسييره، وهو الميدان الفسيح لتسلسل

الأحداث وتناميها، فالحدث " لا يقدَّم سوى مصحوب بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية "[27].

وقد شغل المكان حيزاً جلياً عند ابن الوردي؛ لأنه الوعاء الذي يحمل الأحداث ، فلا يُتصور وجود حدث بدون مكان، فامتدت الأماكن التي اجتاحها الطاعون في صفحتين من الرسالة،سردها بطريقة وصفية،تتضمنها أبيات شعرية من منظومه، وقد رسم خط سير الأماكن التي اجتاحها الطاعون مبتدئاً من الصين حين قال : " ما صين عنه الصين "، وهي المكان الأول لظهور هذا الوباء .

ولعل من الطريف أن يذكر ابن الوردي أن الوباء بدأ من الصين مشابهًا في ذلك "فيروس كورونا – كوفيد19 المعاصر"، في انطلاقته الأولى التي كانت من ذلك المكان، ثم يتابع ذكر "المناطق التي شملها عقب الصين، مرتبة حسب ورودها في الرسالة هي الهند والسند وبلاد أزبك، وبلاد ما وراء النهر، أفغانستان حالياً، وبلاد العجم، وأرض الخطا، وشبه جزيرة القرم، وبلاد الروم، وقبرص، والجزائر، والقاهرة، والإسكندرية، والصعيد، وبرقة، وغزة، وعسقلان، وعكا، والقدس، وصيدا، وبيروت، ودمشق، والمزة، وبعلبك وقارة، والغسولة، وشمسين، والجبة، والزبداني، وحمص،وحماة، وسرمين، والفوْعة، وأنطاكية، والباب، وتل باشر، وذلول، وقصد الوهاد والتلاع"[28]فقد جعل ابن الوردي من المساحة المكانية مسرحاً للطاعون الوبائي، الذي غزا العالم آنذاك، وفضاءً فنياً لتطوره وتنامي أحداثه، حتى وصل إلى بلده حلب. وهي فضاءات حقيقية، تخضع لحدود جغرافية، تحددت في حقبة معروفة، وتأطرت في مساحات معلومة، توسل فيها السارد بلغة متواثبة، يلعب فيها الحس الواقعي دورًا بارزًا، تجعل المتلقي يتفاعل مع تجربته الواقعية ، كما تعد أيضاً بمثابة خط السير لهذا الوباء المميت ، الذي انتشر في العالم أجمع ، والكاتب عندما يقوم بذلك يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف من كونه وسيط يؤطر للأحداث إلى دور محاورٍ حقيقيّ يدخل إلى عالم السرد ويحرر نفسه من قيود الوصف[29].

ويمكن من خلال هذا السرد المكاني استكناه أبعادًا تاريخية وأخرى ثقافية للسارد، يقول في ذلك رائد عبد الرحيم: ولم "تنفك عقليه الأديب تلح عليه في أدبه شعراً ونثراً، ويتجسد هذا الأمر في رسالته النبأ عن الوبا، التي حرص فيها على إبراز قدرته الأدبية أولاً، وثانيًا على جعلها وثيقة تاريخية تؤرخ هذا المرض وظروفه، وتلك العقلية التي جعلته يحدد موقع هذا المرض من الطواعين التي حدثت في التاريخ الإسلامي"[30]حيث قال: "وهو سادس طاعون وقع في الإسلام "[31].

لذا فإن المكان قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحداث الحكائية الواردة في الرسالة ؛ لكونها مسرحاً للحكي، فقد وقع هذا الوباء في هذه الأماكن ، فالعلاقة بين الموضوع والمكان في رسالة ابن الوردي علاقة رئيسة بنيت الأحداث فيها على المكان ، فأصبح المكان دعامة من دعامات العمل الأدبي ، ومكوِّنٌ جوهريٌّ من مكونات البناء الفني للرسالة ، وبطلٌ لأحداثها .

كما استطاع ابن الوردي . أيضاً . أن يربط بين زمن السرد وزمن وقوع الحدث في مهارة فنية وقدرة إبداعية تنم عن امتلاكه لأدواته الفنية .

فقد أجاد في استخدام هذه التقنيات السردية وتوظيفها في خدمة الحدث بما يفيد القارئ من معلومات زمانية

ومكانية ، تصحبها بعض الأدوات الفنية التي تزيد من درجة التشويق والانتباه ، وتقلل من الشعور بالملل المتولد من رتابة الأحداث في بعض الأحيان .

- **الشخصيات**

تُعرف الشخصية بأنها : " كل مشارك في أحداث الحكاية سلبًا أو إيجابًا ، أمَّا من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات ، بل يكون جزءاً من الوصف . الشخصية عنصر مصنوع ومخترع ككل عناصر الحكاية ، وتتكون من الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها "[32].

فإن تجلية الشخصيات والوقوف على كنهها وأبعادها،من أهم الدعائم في بنية السرد،التي يجب أن يلتفت إليها النقاد، وينقبوا في دخائلها.وتنقسم الشخصية في العمل السردي إلى قسمين، الشخصية الرئيسة، وهي التي تحمل على عاتقها سرد الحدث وتسلسله وتناميه، وتقود المتلقي إلى أجواء النص الأدبي، وتكشف عن ملابساته وخفاياه، و تظهر براعة الشخصية الرئيسة في قدرتها على عرض المواقف الإنسانية،عرضاً تأثيريًا جاذبًا، فالشخصيات الرئيسة المحورية " هي شخصيات مسيطرة بصورة الأفراد المهيمنين رغم أن سلوكها قد لا يتسم بالسلوك البطولي"[33] .

وتبرز شخصية ابن الوردي في الرسالة، بوصفه شخصية تلعب دوراً بارزًا في تحقيق الهدف الفني والمعنوي في الرسالة، من حيث سرْد الحدث بما أحاط به من ملابسات، فهو "يسخر من واقع مرير لا يكاد الطاعون يضيف إلى قسوته شيئا، ويسخر من السياسة عبر إعلانه عن الظلم المتفشي وعبر شرحه للكيفيات المختلفة التي يقوم بها الأغنياء – وهو ليس بعيداً عنهم بحكم طبقته – لحماية أنفسهم من الوباء"[34] إذ يقوم بدور السارد، "الراوي" المشارك في الحدث، وتقديمه للمسرود له،والتعقيب عليه، فهو العارف بظروفه، المدرك لتفاصيله . فرؤية الراوي في العمل السردي قد تكون"خارجية تصف ما تراه وتقدّم الأحداث والشخصيات بوصف حيادي، والراوي فيها عليم بكل شيء... أو أن تكون رؤية الراوي داخلية، تضفي انطباعات الراوي ووجهة نظره على الشخصيات والأحداث... وقد تتضافر الرؤيتان؛ الخارجية والداخلية في تقديم مادة الرواية، فتكون الرواية ثنائية، تتداخل فيه الرؤيتان أو تتكاملان "[35]وهكذا ظهرت شخصية ابن الوردي في رسالته، حيث ظهر بشخصية راوي عليم Omnies cent Narrator ، محيط بكل الأحداث وهذا الراوي يعد أثراً من آثار البناء القصصي في القصة التاريخية ؛ ففيها لا تعلم الشخصيات مصائرها ولا حقيقة أفعالها ، أو أفعال الشخصيات الأخرى ، لكن الراوي يعلم كل شيء لأنَّ تأخره في الزمان يكشف له ما كان مخبأً من الأحداث على الشخصيات[36].

فقد قام بسرد الأحداث، ونقل ما شاهده من وقائع الوباء وسيرورته من بلد إلى آخر، مع إضفاء انطباعاته من خلال التعليق على الحدث والشخصيات، فهو يستهل رسالته بمقدمته" الله لي عدة، عند كل شدة" وينتقل إلى سرد الحدث، ويستمر إلى نهاية الرسالة النثرية، فمحور السرد الحكائي، جاء بعد الاستهلال، حيث أخذ يوضح كيف بدأ رحى الطاعون يطحن الأرواح ويفتك بالنفوس، راصداً ما عايشه آنذاك من صراع الناس مع الوباء، ويمكن القول: إن شخصية ابن الوردي، نجحت في نقل مضامين العمل السردي المتمركزة حول جائحة الطاعون الوبائي، الذي دارت أحداثه عام 749 هـ، مستنداً إلى باقي التقنيات السردية في تسيير دفة الأحداث ودفعها إلى

نهاية الرسالة .

ولا يخفى ما للشخصيات الأخرى من أهمية في إماطة اللثام عن أبعاد العمل السردي فكريًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا، بالإضافة إلى ما لها من دور مشهود في نمو الحدث، وبث جو من التأثير الدرامي في نسيجه.ويعنُّ من الشخصيات في رسالة " النبأ عن الوبا " شخصيات أعيان حلب من أطباء وغيرهم، ممن حاولوا التصدي للوباء، والبحث عن حلول عاجلة؛ لتفادي الكارثة،منقبين في كتب الطب وأسفار الحكمة؛ لاكتشاف العقاقير العلاجية، وهم في سبيل ذلك لم يتوانوا عن اتباع أنظمة غذائية، تقلل من الإصابة بالوباء، يقول ابن الوردي في وصفهم:" فلو رأيت الأعيان بحلب وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض، ويكثرون في علاجه من أكل النواشف والحوامض" كما أنهم استنفروا للقيام باحترازات وقائية،أسهمت في التقليل من تفشي الوباء والعدوى، يقول في ذلك:" وبخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والسعد والصندل، وتختموا بالياقوت، وجعلوا البصل والخل والصحنا من جملة الأدم والقوت، وأقلوا من الأمراق والفاكهة، وقربوا إليهم الأترج وما شابهه"

ولا يخفى البعد الخرافي للشخصيات، الذي يتراءى من خلف الاعتقاد الكامن في لبس خواتم الأحجار الكريمة، أنها تحمي من الطاعون، وتجلب الصحة، فهناك اعتقادات متوارثة في هذا المجال، حيث يعتقدون أنها تطيل العمر، وتجلب الحظ.

ومن الشخصيات التي ظهرت في رسالة ابن الوردي، مَن سمَّاهم "الجنائزية"، وهم مَن يعيشون على حمل النعوش والتوابيت، ودفن الجثث، فالكارثة عادت عليهم بالرزق العميم، ولذلك كانوا يتلاهون، ويتقاعدون عن الزبون ويتقاعسون، فقد انتعشت مصادر رزقهم، وتضخمت بزيادة الجثث، يقول ابن الوردي في الكشف عن ذلك المشهد الدرامي:" ولو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى، وسمعت بكل قطر من حلب نحيبًا وصوتًا، لوليت منهم فراراً، ولأبيت فيهم قراراً، فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا، وعاشوا الموسم وعرقوا من الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا، فهم يلهون ويلعبون، ويتقاعدون على الزبون "

ومن بين نسيج الرسالة، يذكر ابن الوردي" أهل السيس، ويمكن تصنيفهم بالشخصيات الضدِّية الذين ظهرت أبعادهم العدائية، ولعبوا دور الشامتين الفرحين بما أصاب المسلمين من البلاء، وما حلَّ بهم من الوباء، يقول في وصفهم:" ومما أغضب الإسلام، وأوجب الآلام، أن أهل سيس الملاعين، مسرورون لبلائنا بالطواعين ".

كما ضمّن رسالته أنواعاً من الشخصيات ظهرت في مسرح الأحداث بوصفها شخصيات إيجابية، تأتي نتيجة طبيعية لحركة التغيُّر البشري في مثل هذه الكوارث والابتلاءات، منها شخصية المودِّع الذي هيأ نفسه للفراق المفاجئ،فأخذ يوصي أولاده، ويودِّع جيرانه، ويهيئ أكفانه، ومنهم شخصية المتَّعظ من تقلبات الدهر وحلول البلاء، فأخذ يغيِّر سلوكه بمصالحة الأعداء، وملاطفة الإخوان، والإغراق في الإنفاق، وعتق الغلمان، ومنهم المرعوي عن التطفيف في الكيل والميزان.فكل تلك الشخصيات تتقافز من بين منظومته الشعرية التي طعَّم بها رسالته النثرية[37] .

ولعل تلك الشخصيات تعكس بعدًا اجتماعيًّا وأخلاقيًّا ، يتسرب من بين ثنايا الرسالة التي" تقف على جانب من الحياة الاجتماعية في حلب في العصر المملوكي الأول، وتبين جانبًا من المفاسد التي كان عليها المسلمون وقتذاك، فهي تشير إلى سلوك وأخلاق كان عليها الناس"[38].

فقد تنوعت الشخصيات في الرسالة فظهر فيها الطبيب المعالج الذي قام بدوره العلاجي والوقائي ، والجنائزي الذي كان يقوم بدفن الجثث ، وهو من المتربحين في هذه البلوى فقد زاد رزقهم بسبب كثرة الموتى ، وأهل السيس الذين شمتوا فيمن أصيبوا ، وأهل التوبة والرجوع إلى الله والاستعداد للموت ، كل هذه الشخصيات تلاقت مع شخصية الكاتب وهي الشخصية الرئيسة من خلال الأحداث لتخرج لنا عملاً أدبياً متقناً أظهر فيه الكاتب بعض الصفات النفسية لهذه الشخصيات وتنوعها ما بين إيجابية وسلبية .

- **الحـبكة**

الحبكة تقنية فنية تعمل على تعزيز تلاحم العمل السردي، وترابط نسيجه، ووظيفتها الرئيسة هي تسلسل الأحداث وتواترها دون بتر أو انقطاع. فالحبكة " سلسلة من الأفعال التي تصمم بعناية وتتشابك صلاتها وتتقدم عبر صراع قوى بين الأضداد إلى ذروة وانفراج "[39]. وهي الطريقة التي يتم بها سرد الأحداث ، ويقع التأكيد فيها على الأسباب والنتائج .

وهناك من الأعمال السردية مما لا يشترط في سردها وعرض مواقف شخصياتها إلى ترابط منطقي أو تسلسل في الأفعال،فليس من الضروري أن تتصل حلقاتها،و تتحقق فيها علاقة السببية، ولكن السارد المتمكن من فنه يستطيع أن يصنع الحبكة المطلوبة في نسيج عمله، ويجعل المتلقي في حال من التشويق والمتابعة.

وهنا تظهر قدرة الكاتب في بناء الحبكة بطريقة خاصة لكي يجذب الانتباه إلى أشياء محددة ربما كانت ستغيب عن الملاحظة ، فهي تعطيه تصوراً كاملاً عن أحداث قصته وكيفية صياغتها وتقديمها للقارئ . والحبكة في تقنيتها الفنية ترتكز على ثلاثة مكوّنات، وهي المقدمة، والوسط، والنهاية.

أمَّا المقدمة فلا بد أن تتميز بحرفية السارد، وتأخذ بلب المتلقي، وتأسره فنيًّا، وتقوم"بمهمة عرض المعلومات الضرورية عن بداية الحبكة، فهي تقدم حركة الفكرة وحركة الفعل وحركة الشخصية وحركة الزمن "[40]. فالمقدمة أول ما يصادف القارئ ، وهنا تكمن صعوبتها ، إذ يجب على الكاتب . بجملة واحدة في معظم الأحيان . أن يأخذ بيد القارئ ، دون إرباك ودون تنفير ، إلى الجمل التي تليها ، وتشويقه لمتابعة القراءة ، فلا يلجأ الكاتب . مثلاً . إلى التفصيل غير الموظف في بدايته الفنية ، حتى لا تعوق هذه التفاصيل الحكاية وتضر بالحبكة ، مع مراعاة التناسب بينها وبين الموضوع الرئيس للعمل.

وقد ضمت رسالة ابن الوردي بعض هذه التقنيات الفنية في المقدمة التي استهلها بصبغة دينية تقليدية، فقال: " الله لي عدة، عند كل شدة " فهي بمسحتها الدينية، و ولوج السارد منها إلى قلب الحدث مباشرة، جعلت المتلقي يمسك بأول الخيط من الإحساس بحجم الجائحة الوبائية، وإدراك مدى خطورتها واستبدادها ، كما تضمنت المقدمة ذكر لفظة الطاعون حيث يقول في معرض الدعاء متوسلاً بالنبي . صلى الله عليه وسلم . : " ونجنا بجاهه من طعنات الطاعون وسلم " مما ساعد في تهيئة القارئ وتعريفه بمحتوى الرسالة .

ومن منطلق رحلة سرده، لم يتجاهل ابن الوردي العنصرين اللذيْن يرفدان الحبكة، وهما الزمان والمكان، فحدد نقطة البداية، حاشدًا كمًّا من الأماكن المتلاحقة، تُحدِثُ بعض الموجات الحركية المؤدية إلى صنع الحبكة ودفع الحدث.

ومن المقدمة يأخذ ابن الوردي في الولوج إلى الوسط، مستمراً في السرد والسير قدماً بالحدث، مستعيناً

بالصراع بين الشخصيات؛ لخلق الحبكة المطلوبة، والوصول إلى مستوى من العقدة، في منطقة الوسط التي تُمثل ذروة الصراع، ثم تتأزم و يشتد فيها الأمر، وتتشابك الأحداث، حتى تصل إلى الانفراج وتنتج حلاً يقود إلى نقطة النهاية. والتي يجب أن تكون في قوة البداية ، فتكون منطقية ومبررة ، حتى ولو كان الحل الذي يقدمه الكاتب على خلاف ما يتوقعه القارئ . ولاشك أن الشخصيات بما يدور بينها من حوار، وما يموج بينها من صراع، من أهم العناصر الفنية التي تخلق الحبكة المطلوبة في نسيج المادة الحكائية ، فإن الحبكة تعتمد على الشخصيات وما يصدر عنها من ردود أفعال ، ولقد أكد كثيرٌ من النقاد على الصلة بين الحدث والشخصية ، فمن الخطأ الفصل أو التفرقة بين الشخصية وبين الحدث ، لأن الحدث يمثل الشخصية وهي تعمل .

- **الحـوار**

الحوار عنصر فني له ثقله في حركة النص الأدبي وحبكته وتماسك بنيته الداخلية، يؤدي بحرفيته إلى خلق التواتر السردي في نسيج النص، فهو الأقدر على التعبير عن المشاعر والانفعالات والكشف عن العوالم الداخلية للشخصيات ، و" تقع على عاتقه مسؤولية تقديم الشخصيات و التعريف بها، وبيان الصراع الذي يدور بينها، وبين ما يترتب على ذلك من سير الأحداث إلى نهايتها "[41].

والحوار جزء مهم من أجزاء الأسلوب التعبيري في العمل الأدبي ؛ ذلك لأن السرد والحوار لا ينفصلان ، فالحوار المعبِّر الرشيق ، سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه ، والكاتب الفني البارع هو الذي يتمكن من اصطناع هذه الوسيلة الفعالة وتقديمها في مواضعها المناسبة [42].

كما يمكن أن يستشف المتلقي نوعاً من الحوار الداخلي (المونولوج) [43]في الرسالة النثرية منذ إطلالتها الأولى، حيث يشير ابن الوردي بطرف خفي إلى ذلك الحوار الضمني بينه وبين الأصوات الخارجية المتعالية، التي حاولت بث الترويع والذعر في النفوس، فكأننا نستمع إليهم وهم يتناقلون الأخبار المفزعة في اجتياح الطاعون، ليكشف عن شعوره تجاه هذه الجائحة ، فيأتي صوت السارد بالرد " أليس الله بكافٍ عبده " وهو بلا شك حوار ضمني، تبرز فيه شخصية السارد بأبعادها الدينية، مهدئًا من روع ذاته واضطرابه بالتشبث بمعاني التوكل على الله تعالى، فأطلعنا الكاتب عما يدور في باطنه من خلال حوار النفس مع النفس .

ويمكن تلمُّس ذلك الحوار الخارجي، الذي يوجهه ابن الوردي إلى الطاعون مستخدماً فيه أسلوب النداء في أثناء سرده الخط المكاني للبلدان المنكوبة، كاشفاً عن بعد تأثيري لما حلَّ بحماة التي استشرى فيها الوباء، ونغص عيشها ويظهر ذلك من خلال أبياته الشعرية قائلاً:

يا أيُّها الطاعونُ إنَّ حـماةَ مِن خيرِ البلادِ ومن أعزّ حصونِها

لا كُنْتَ حينَ شَمَمْتَها فَسَمَمْتَها ولَثَمْتَ فـاها آخذاً بقرونها

ويتابع سرده للأحداث ذاكراً الأماكن التي لم يبلغ فيها الطاعون مبلغه، حيث كانت في أمان من بطشه، منها " معرة النعمان " وهنا وجد الأديب مجالاً متاحاً للنقد، فعلَّل ذلك بما كان شائعاً فيها من ظلم اجتماعي وسياسي،وأن هذا البلاء يكفيها وبالاً وعاقبةً؛ ولذلك تنحى عنها الطاعون، ويتجلَّى ذلك في الحوار الذي وجهه إلى المعرة قائلاً:" ثم دخل معرة النعمان، فقال لها : أنت منيّ في أمان، حماة تكفي في تعذيبك، فلا حاجة لي

بك " ، فجسد الكاتب هذا الوباء في صورة إنسان يخاطب البلدان في صورة انتقل فيها ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم؛ لكونه أوقع في النفس وأصدق ، ثم امتدَّ الخطاب إلى حصني شيرز والحارم، فوجَّه إليهما النقد نفسه مستخدماً الحوار قائلاً:" ثم قال لشيرز والحارم لا تخافا منّي، فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عنيّ، فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية "

أمَّا حلب، فلم يستفحل الوباء فيها كغيرها، وفي ذلك يقول:" ثم طلب حلب، ولكنه ما غلب، فهو والله أخف وطأة، ولم أقل كزرع أخرج شطأه " ولعل الحوار الشعري المتبادل بينه وبين غيره، يشف عن ذلك، يقول:

إن الوبا قـــد غـلبا وقـــدْ بدا في حـلبا

قـــالوا: له على الورى كـــافٌ ورا، قلتُ: وبا

فإن الطابع العام لرسالة " النبأ عن الوبا " تغلب عليه سيميائية سردية وصفية، لم تظهر فيه تقنية الحوار بشكل جلي إلاَّ في مواطن محصورة، فابن الوردي سرد الحدث بطريقة وصفية مباشرة، ولكنه حاول كسر موجات السرد الوصفية المتلاحقة بأبيات شعرية، يظهر فيها الحوار؛ لتجلية فكرة ما، والبعد بالقارئ عن الرتابة والملل ،كما في قوله:

قـــالوا:فسادُ الهواءِ يُردي فقلت: يُردي هـوى الفسادِ

كـم سيئاتٍ كم خـــطايا نادى عليكم بها المنادي

فابن الوردي استعان بأصوات خارجية،– قد تكون أحياناً ضمنية – تمسك معه طرف الحديث، وتدفع الحدث إلى الأمام، وتبادله النقاش حول استفحال الطاعون، متوسلًا بتقنية الحوار مؤكّداً إنَّ تفشي الوباء وعموم البلاء ما هو إلاَّ بسبب فساد البشر، وارتكابهم الخطايا، وحثهم ضمناً على الرجوع والتوبة ، فمن خلال الحوار السابق حرص ابن الوردي على إثبات رؤيته التي تتوافق قطعاً مع قول الله تعالى : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير[44]". فما وقع هذا البلاء والوباء إلا بسبب فساد البشر وهو ما ذكره في الأبيات السابقة في قوله : **كـم سيئاتٍ كم خـــطايا نادى عليكم بها المنادي**

ثم يكسر ابن الوردي رتابة السرد الوصفي بالنقاش حول مسألة العدوى، باستخدام تقنية الحوار بينه وبين أطراف أخرى لكل منهم قناعاته حول ذلك، منهم من هو مثبت لها، ومنهم من هو منكر لجدواها، ويمكن تلمُّس ذلك في قوله " فإن قال قائل هو يعدي ويبيد، قل بل الله يبدئ ويعيد، فإن جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأوَّل، قلت قد قال الصادق عليه السلام فمن أعدى الأول". فنلمح من خلال هذا المقطع أن الحوار جاء مشفوعاً بالدليل ؛ حيث أقام ابن الوردي حوارًا بين شخصيتين افتراضيتين من خياله ، وعضد كلام الثاني بدليل من السنة وهو قول النبي . صلى الله عليه وسلم . " فمن أعدى الأول " ، علمًا بأن الشخصية الافتراضية الثانية تمثل الكاتب نفسه في فكره ومعتقده لذلك عزز الكلام بالدليل؛ ليقره ويثبته في ذهن القارئ .

فكان هذا التبادل الفكري الحواري في قضية ما أو فكرة ما، مما يثري نسيج الرسالة، ويخلق فيها هذا التوتر والتواتر المطلوبَيْن في البنية السردية، لذا فقد لعب الحوار دورًا بارزًا ومهمًّا في رسالة ابن الوردي ، وجاء في صورتين رئيستين هما : الحوار الخارجي، والحوار الداخلي، وقد أسهم في التعبير عن مشاعر الشخصيات وانفعالاتها وعوالمها الداخلية، وكانت لغة الحوار لغة فصيحة ، وواضحة؛ لتقريب المعنى ، وموائمة اللفظ ،

فيكون بذلك أكثر واقعية .

ويمكن القول إن التقنية الحوارية في رسالة ابن الوردي، وردت بالقدر الذي يسهم في تعزيز الحبكة وتقوية بنية السرد.

- **الصراع**

الصراع من أهم العناصر الفنية في عملية السرد؛ لأنه المحرك الديناميكي المسيِّر للحدث، دون ملل أو رتابة، وهو الصانع الحقيقي للحبكة والمسئول الأكبر لتنامي البعد الدرامي، وينتج عن تصادم بين شخصيتين أو بين أمرين أو بين طرفين أو بين قوتين متعارضتين، وهذا ما يكفل للعمل السردي مستويات من الجذب والانفعال، ودرجات من الإثارة والتشويق، تجعل المتلقي متنبهاً لما فيه من أحداث من بداية العمل إلى نهايته حتى يصل إلى حل لهذا الصراع .

وقد يكون الصراع داخلياً بين الشخصية وذاتها، وقد يكون خارجياً بينها وبين شخصية مختلفة، أو بينها وبين قوى خارجية كالطبيعة أو المجتمع أو غير ذلك.

ويستشعر المتلقي ذلك الصراع الكامن في رسالة " النبأ عن الوبا " بين شخصية السارد، وبين القوى الطبيعية المتمثلة في اجتياح الوباء وتفشيه بين الناس ،الأمر الذي جعله في حال من القلق والذعر النفسي، ويمكن استبطان هذا الشعور الكامن من استهلاله ذي المسحة الدينية، فهو يعلم أنه في صراع مع قوى طبعيه، فكان خير سلاح للتحصن من هذا الوباء ومصارعته هو اللجوء إلى الله والتوكل عليه، فالمقدمة التي صدَّر بها رسالته ترصد صراعاً، بين السارد و الطاعون،ولعل هذا الصراع الخارجي قاده بطبيعة الحال إلى صراع ذاتي،إذْ يتنازعه أمران، الأمر الأول: الذعر من المرض والموت، الأمر الثاني: التشجع والتمسك بأهداب الحياة، مسترفدًا الحس الإيماني، ولعل ما يؤكد ذلك ما قاله في خاتمة رسالته:" وما منعنا الفرار منه إلاّ التمسك بالحديث"[45] فابن الوردي يستهدي هدياً نبويّاً في مواجهة هذه القوى الطبيعية الوبائية، وذلك بملازمة البلد الذي هو فيه وعدم الخروج منه. وقد أثبت العصر الحديث فعالية هذا الإجراء في الصراع مع "فيروس كورونا–كوفيد 19"[46] الذي سبقت الإشارة إليه – فهو إجراء ناجع مأثور عمن لا ينطق عن الهوى . صلى الله عليه وسلم . .

ويمتد الصراع إلى صراع آخر يمكن تلمُّسه من المواضع المأزومة التي ذكرها ابن الوردي، فيقول عند تصاعد الحدث، واستفحال الطاعون:" ومن الأقدار، أنه يتتبع الدار، فمتى بصق واحد منهم دماً، تحقق كلهم عدماً، ثم يسكن الباقين الأجداث، بعد ليلتين أو ثلاث "، ويقول في موطن آخر:" كم دخل إلى مكان، فحلف لا يخرج إلاَّ بالسكان ... استرسل ثعبانه وانساب، وسُميِّ طاعون الأنساب ".

كما أن الأعراض الفتاكة، والتداعيات في تطور الوباء، وتفشيه بين السكان وأهل الدار، باثًّا سمومه بينهم دون انحسار،كل تلك المشاهد بما فيها من ترويع، بلورها ابن الوردي على شكل أزمات متعاقبة، خلقت صراعاً بين قوى الطاعون، وبين أعيان حلب الذين حاولوا جاهدين التصدي له ومصارعته، باتخاذ الحلول العاجلة[47].

ومما زاد الأزمة تعقيداً، تصادم الشخصيات نفسها، التي ظهرت في النسيج السردي، وتضارب مواقفهم سلبًا و إيجابًا إزاء تفشي الوباء، فلا يخفى التعارض في السلوك الأخلاقي بين أعيان حلب و بين " الجنائزية "، وقد

مثَّل الموقف الإيجابي أعيان حلب ببحثهم عن حلول انفراجية وعلاجية عاجلة؛ لمواجهة الأزمة، واتباع احترازات وقائية في الأنظمة الغذائية وعادات الحياة اليومية؛ للتقليل من استفحال الوباء .

أما الموقف السلبي، فتمثَّل في شخصيات الجنائزية، حيث التهاون والتقاعس عن دفن الجثث، ولاشك أن هذه السلبية، تعكس أبعادًا أخلاقية، من حيث فقدان الضمير الإنساني، وعدم الشعور بالانتماء البيئي، والافتقار إلى حس المسؤولية، وهذا بدوره يرشد إلى بعد ثقافي يكمن في الجهل وعدم الوعي بحجم الجائحة الوبائية،؛ لأن ترك الجثث متناثرة دون دفن،مما يؤدي إلى انتشار الوباء، وتصاعد دخان العدوى.

كما يشي النسيج السردي بصراع آخر، نشم رائحته في مواقف كفار السيس ضد الإسلام، ويمكن استجلاء أبعادهم العدائية فيما أظهروه من البغض والشماتة ضد المسلمين، والسرور لما حل بهم من بلاء ووباء[48].

إن ظهور الشخصيات باختلاف سلوكياتها وأبعادها، وتضارب مواقفها، من أهم تقنيات الصراع في رسالة " النبأ عن الوبا " فقد أسهمت في صنع العقبات والأزمات، وتفاقم حدَّة الموقف وبالتالي تخليص النص من حياة الركود، وتحريك ديناميكية المادة الحكائية، وبث شيءٍ من المشاحنات المحرِّكة التي أدَّت إلى تقوية الحبكة وخلق البعد الدرامي في نسيج السرد.

ولعل ذلك كله مما يقود إلى مرحلة الانفراج وبلوغ النهاية التي يرومها المبدع، من حيث ثبوت المغزى، والوصول بالمتلقي إلى النهاية، ووضع يده على حلول يستضاء بها في مثل هذه المواقف الكارثية، ويظهر هذا جليًّا في نهاية الرسالة من عدة زوايا:

الزاوية الأولى: تكمن في البعد الديني وتأكيد بعض الثوابث المعنوية من حيث فوز المسلم بالأجر العظيم عند الصبر على البلاء، يقول ابن الوردي:" وقد ثبت عن نبيّنا صلى الله عليه وسلم أن المطعون شهيد، فهذا الثبوت حكم بالشهادة".

الزاوية الثانية:تبرز في الإشارة إلى ضرورة التعايش مع الكارثة، والنظر إليها بإيجابيه، من حيث تحقُّق الفائدة التربوية، والصحوة الدينية بالعودة إلى الله، وعدم الاغترار بالحياة وطول الأمل، وبذلك يستحيل الوباء إلى ابتلاء، موقظٍ للغافلين، ومنبهٍ للسادرين،يقول ابن الوردي مشيرًا إلى ذلك "ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزود للرحلة"

أما الزاوية الثالثة فتظهر بقوة في نهاية السرد، حين وجَّه إلى خير نافذة مشرعة للفرار من عتمة الكرب، والتخلص من الابتلاء والوباء، وذلك بالاستغاثة إلى الله، والتوسل إليه بالدعاء، فهو الحصن الحصين، ورافد الاستكانة والطمأنينة، وسبيل النجاة، يقول:" فهلمَّ بنا نستغيث، إلى الله تعالى في رفعه فهو خير مغيث، اللهم إنا ندعوك بأفضل ما دعاك به الداعون، أن ترفع عنَّا الوباء والطاعون ".

فقد كشفت لنا رسالة « النبا عن الوبا » عن جانب إنساني منح الرسالة التاريخية مشاركة وجدانية مع القارئ ، ومع استعانة الكاتب بواحدة من تقنيات تيار الوعي ، والتي غاصت بنا في أعماق الشخصية ، كاشفة لنا عمَّا تمور به شخصيات الرسالة من تمزق نفسي وصراع في بعض الأحيان أظهر ما يكمن داخل بواطن هذه الشخصية ، أو استقرار نفسي يرجع إلى يقين هذه الشخصيات وإيمانها بانفراج الكرب بيد الله سبحانه وتعالى .

- **لغة السرد وأسلوبه**

لغة السرد هي المكوّن اللفظي، الذي يتوسل به السارد في تقديم مادته الحكائية، وهي من أهم التقنيات الفنية في تقوية جمالية النص؛ فبها تتحدث الشخصيات ، وبها تسرد الأحداث ، ويتجلى الزمان والمكان ، كما أنها أداة الكاتب في نقل أفكاره إلى المتلقي ، وكلما شحذ المبدع عمله بقوى تعبيرية، كلما كان أكثر انسيابًا وتأثيرًا.

ولابن الوردي لغته المميزة، وأسلوبه الخاص المتفرد فقد" جاءت لغة رسالته في معظمها جزلة، وهذه الجزالة تلائم موضوع الوصف"[(49)]، اعتمد فيها على السرد النثري المطعَّم بالأبيات الشعرية.

ويمكن القول: إن رسالة ابن الوردي، صيغت بلغة جزلة سهلة لا غموض فيها ولا تعقيد ، إلاَّ ما كان في بعض المواطن التي طغت فيها المحسنات البديعية .

ورسالة ابن الوردي حدثٌ تاريخيٌ، عاش أزماته المنوطة به، فاختار لها نسقاً لغويًّا إيقاعيًّا، يرتكز على متواليات قصيرة، يستشعرها المتلقي من جرسها المنبعث من الرصْف السردي المتلاحق في عبارات متواثبة، ولعل هذا التواثب اللغوي يشي بالحالة الشعورية للسارد، ويعكس شعور القلق وتلاحق الأنفاس.

وقد ابتدأ بالتوسل بضمير"الأنا" للمتكلم، ثم تنحَّى عنه ، وتحولت لغة السرد إلى استخدام ضمير "النحن" للمتكلمين، كما جاء في مقدمته، واستمر في التنويع الأسلوبي في استخدام الضمائر ما بين ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، الذي كان مسيطراً على بنية السرد، فطبيعة مادته الحكائية يناسبها هذا الضمير في عملية السرد للأحداث، غير أن ذلك لم يمنع ابن الوردي من أن يزج بنفسه في نسيج السرد، مستخدماً أسلوب الراوي المشارك ، الذي يروي أحداثًا وقعت في زمن الماضي ، عن طريق ضمير " الأنا " بوصفه سارداً مشاركاً في الحدث، مما أسهم بشكل كبير في إقناع القارئ بصدق الأحداث ، ويكشف أيضًا عن قوة العاطفة ، كما أن هذا التفاوت في استخدام الضمائر يؤدي إلى طرد السأم والرتابة عن المتلقين ، وقد ختم رسالته بضمير المتكلم فأكسب رسالته صدق في العاطفة ، ومنح القارئ مشاركة وجدانية فكان لهذا الأسلوب أثره الواضح على المتلقي دلَّ على مهارة الكاتب الفنية .

ولكي تجد المادة الحكائية صدىً أخاذاً، لا بد أن يمتلك السارد تقنية أسلوبية مؤثرة، وهذا ما ظهر في مقدمة الرسالة، فالمقدمة هي أول ما تسترعي الانتباه، فبدأ ابن الوردي بالوصف الخبري، فقال: " طاعون روَّع وأمات، وابتدأ خبره من الظلمات " ولكنه تنكَّب عن ذلك،إلى الوصف الإنشائي،فقال: " يا له من زائر "، وقد يشي هذا الانتقال اللغوي بحالة خوف وترقب من الهجوم الوبائي في أي لحظة؛ لذا جاء الالتفات من الخبر إلى الإنشاء، باستخدام صيغة النداء الدالة على التعجب والاستغاثة؛ نتيجة الشعور بأزمة الموقف، فمن المعروف أن " الالتفات من الفنون ذات الأثر الفعال في تنويع أنماط الكلام، تلبية لبواعث نفسية شتَّى"[(50)].

كما يمكن القول بأن السارد ارتكز على لغة وصفية، تفتقر إلى النبرة الدرامية في جنبات الرسالة، وقد استعاض عن ذلك بالتوسل بالأفعال الحركية الموحية، ولاسيما في المقدمة، التي اعتنى بها، باعتبارها الجزء اللافت في النص الأدبي، فقال:" طاعون روَّع وأمات، وابتدأ خبره من الظلمات"فالفعل" روَّع " بما فيه من معنى الترويع، وبما فيه من تضعيف أوحى بالأزمة الشعورية، و كثَّف الإحساس بالذعر والهلع. والفعل " أمات " عمَّق الشعور بالنهاية المخيفة المنتظرة. أما الفعل " ابتدأ " فهو بلا شك إشارة إلى بداية المأساة وفقْد الأرواح، ولعل في لفظة " ظلمات " بصيغة الجمع، إيحاء فياض بالسوداوية المسيطرة على الموقف. هذه الإيحاءات المشحونة في

الأفعال الحركية، أدت إلى استحضار المعاناة واستدعاء المشاهد الكارثية؛ لتعميق الحس الدرامي، ولا سيما في المقدمة. أما باقي مستويات الرسالة، فقد طغت عليها المحسنات البديعية؛ للاستحواذ على إمتاع المتلقي، مستنداً إلى علم البديع، الذي يعرف بأنه " النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق "[51].

وكان للجناس القِدْح المعلَّى في رسالته "فقد أغرق في استخدام الجناس وبخاصة في القسم الأول من رسالته، فأخل بفصاحة تراكيبه، وأدَّى إلى التعقيد والتنافر والتكلف، وبالتالي صعوبة فهمها على المتلقين، وأدَّى كذلك إلى اختفاء المشاعر الحزينة، التي يتوقع المرء أن يجدها متدفقة في ثنايا نص يعبر عن موضوع اجتماعي حزين "[52].

كما أدى إلى تشويه السرد، وانقطاع تواتره و"هذا التشويه من جانب منه ينتمي إلى محسِّن آخر له دور البطولة المطلقة في النص، وهو التورية؛ ذلك أن المؤلف حين يستخدم أسماء البلاد بمعانيها أكثر مما بكونها أسماء بلاد ... أو حين يلعب بالكلمات معلقًا على زوايا من خصائصها اللغوية، فهو يلقي عبئًا على المستمع وعلى القارئة في التفريق بين معنى قريب يحتمه نص الكلام، ومعنى بعيد يفهم من السياق"[53] .

وبالإضافة إلى الجناس والتورية " استعان الأديب بالسجع في معظم أجزاء رسالته، وأغلبه من النوع ذي الفقرات القصيرة، وهو المحبب إلى نفوس النقاد، وقد أدَّى هذا الضرب من السجع دوره في أجزاء قليلة من النص، أما في ما تبقى من أجزاء، فجاء متكلفاً؛ لاقترانه بفنون بديعية أخرى وبخاصة الجناس ومصطلحات العلوم "[54] كذلك استخدم الطباق ولكن لم يظهر إلاَّ في مواضع قليلة.

ثم ينتقل الكاتب إلى مستوى آخر من مستويات السرد بأسلوب قرآني مستخدمًا تقنية الاقتباس[55]، وهي من التقنيات الفنية المؤثرة داخل العمل الفني، فيلجأ إليها الكاتب ليكسب عمله صبغة دينية تتناسب مع موضوع الرسالة حيث يقول : " لو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى، وسمعت بكل قطر من حلب نحيبًا وصوتًا، لوليت منهم فرارًا " فقد اشتمل المقطع السردي السابق علي جزء من آية قرآنية وهي قوله تعالى : " لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا"[56]، وقد حملت عبارة الكاتب المتناصة مع القرآن الكريم أبعادًا دلاليةً تعكس الحالة النفسية للإنسان عندما يرى أحد ضحايا هذا الوباء يُحمل على الأعناق إلى الأجداث ، كما استطاع ابن الوردي المحافظة على النص بصيغته الأصلية ، مكتفيًا بإثارة سياقه الأصلي في سياق الرسالة .

كما ورد هذا الاقتباس القرآني في مواضع أخرى داخل ثنايا الرسالة ؛ لتعلقها بأشد أنواع البلايا وأوقعها على النفس البشرية . لا سيما . وقد ارتبطت هذه المصيبة بوباء كثر فيه عدد الموتى ، فاستيقظ الجميع من غفلته ولجأوا إلى الله راجعين عفوه ورفع هذا البلاء حيث يقول الكاتب : " اللهم إنا ندعوك بأفضل ما دعاك به الداعون، أن ترفع عنا الوباء والطاعون، لا نلتجئ في رفعهما إلا إليك "

كما يرجع أيضاً استخدام الكاتب لأسلوب الاقتباس من القرآن والسنة إلى الكاتب نفسه ، كونه مسلماً صاحب مكانة فقهية وأدبية عظيمة ، ومن استخدامه لذلك ما جاء في معرض حديثه عن قلة الإصابة في مدينة

حلب حيث يقول : " كزرع أخرج شطأه " في إشارة منه إلى خفة وطأة الطاعون على مدينة حلب مقتبساً من القرآن الكريم قوله تعالى: " كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ "[57].

وفي مقطع آخر يقول " هذا وهو للمسلمين شهادة وأجر، وعلى الكافرين رجز وزجر، إذا صبر المسلم على مصيبته فالصبر عبادة، وقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أن المطعون شهيد فهذا الثبوت حكم بالشهادة " ، فالكاتب في هذا المقطع السردي لجأ إلى أسلوب يغاير الأسلوب المعتاد من إبراز مشاعر الحزن والألم ، إلى صياغة تحث على الصبر والتجلد ، وتوقظ العزائم ؛ فقدم صورة رائعة استند فيها على الكتاب والسنة ، بيَّن فيها أجر هؤلاء الصابرين المحتسبين الذين صبروا على البلاء وأنهم في زمرة الشهداء .

فإن هذا الميل الشديد في تدبيج الرسالة بالزخارف اللفظية،ولاسيما الجناس يأتي نتيجة طبيعية ؛ لعدم خروج ابن الوردي عن إطار العصر المملوكي الذي كان يرزح تحت وطأة المحسنات البديعية، فلم يستطع الفكاك من أغلاله، مما أدَّى إلى التعقيد ، ولكن هذا الأسلوب الذي يظهر فيه شيء من التعقيد والتداخل لم يطغَ على كل جوانب الرسالة السردية ، إذ بدت لغة الكاتب على قدر من الفصاحة والتشويق في كثير من المواطن في الرسالة .

و مما لاشك فيه أن لغة السرد في الرسالة، قد تفاوتت في جرسها الإيقاعي الجمالي والتأثيري ، فإذا كانت المحسنات البديعية، قد أفقدتها شيئاً من وهجها الشعوري، وأفضت إلى هبوطها السردي في بعض المواطن، فإنه لا يخفى الإيقاع الهادئ التأثيري، الذي بدا واضحاً في ختام الرسالة، ولعل ذلك جاء نتيجةً للحالة الشعورية التي تحاول التعايش مع البلاء، والإفادة منه في تعزيز التربية النفسية، بل أنها جاءت نتيجة العبق الإيماني للروح المتشبثة بحبال الله دعاءً وتوكلاً، والمسترفدة المناهل الدينية قرآنًا وسنةً ، لفظًا ومعنىً واقتباسًا.

الخاتمة وتتضمن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج:

- ضمت رسالة " النبا عن الوبا " أحداث طاعون 749هـ الوبائي، وقد نجح ابن الوردي في بث الحدث الواقعي بأزماته المنوطة به، موفراً لها التقنيات السردية من حدث، وزمان ومكان، وشخصيات، وحبكة، وحوار، وصراع، ولغة متواثبة ؛ لذا كان من الأهمية وضعها ضمن النصوص التي انتهجت نهج الفن السردي.

- أكدت الرسالة بمسحتها التاريخية الوثائقية، أن الأدب لصيق بالواقع، وقادر على تصوير الحياة وأحداثها، واستطاعت بما حظيت به من تقنيات سردية، أن تلوي عنق المتلقي إلى أبعادها الكارثية، وتجلياتها الاجتماعية والنفسية.

- التزم ابن الوردي بسرد الواقعة التاريخية كما هي دون تزييف أو تغيير ، وتوظيف ذلك في خدمة المعنى .

- ظهرت شخصية ابن الوردي في النسيج السردي، بوصفها شخصية محورية ، تعبر عن الصراع مع جائحة " وباء الطاعون " الذي عانت ويلاته البشرية لمدة خمسة عشر عاماً آنذاك.

- كشفت الرسالة عما يتميز به ابن الوردي من رصيد ثقافي، جعلته قادراً على تحديد ترتيب طاعون سنة 749هـ، بأنه سادس طاعون وقع في الإسلام، كما تجلَّى استيعابه المعرفي في رسم الخط السيري المكاني لتفشي هذا االوباء.

- تضوَّعت رسالة "النبا عن الوبا" بعبق إيماني؛ لمواجهة سوداوية الموقف الكارثي، مصدرها شخصية ابن الوردي المتوكلة على الله، والمتشبثة بالروافد الدينية قرآنًا وسنة.

- اعتمد ابن الوردي لغة سردية متواثبة، تتلفع بالمحسنات البديعية، وهذا إن أفقدها بعض وهجها الشعوري والسردي في مواطن من الرسالة، فإنها أثبتت في مواطن أخرى قدرتها التأثيرية، ولاسيما في المقدمة والخاتمة.

- تجلَّت مواقف الشخصيات عن تضارب في الأبعاد الأخلاقية والسلوكية، وهذا التضارب كان المحرك الديناميكي للصراع، والصانع الحقيقي للحبكة، والكاشف عن أزمة بشرية بالغة، أدَّت إلى حلول انفراجية في نهاية الرسالة.

- كشفت رسالة " النبا عن الوبا " عن استراتيجيات بشرية متبعة في كيفية التعامل مع أزمة وباء الطاعون، وتفاوتت ما بين الاستهداء القرآني والنبوي، وما بين اتباع إجراءات احترازية بشرية، أثبت العصر الحديث فعاليتها مع جائحة " كورونا – كوفيد – 19 ".

- قامت حبكة الحدث في معظم أجزاء الرسالة على التغيير في حال الشخصية إمَّا من الأسوأ إلى الأحسن ، وإمَّا تمرداً على القيم والعادات والتقاليد الإسلامية ثم الرجوع إليها مرة أخرى .

- امتازت اللغة السردية في الرسالة بفصاحتها ورشاقتها ، فجاءت فصحى ، تفيض بالحيوية والدقة في أداء المعاني والأفكار ، ونقل الأحاسيس والمشاعر بصورة سليمة .

- استخدم ابن الوردي العديد من التقنيات الفنية الحديثة مثل تيار الوعي ، والمناجاة الداخلية ، والسخرية السوداء ، مما ساعد في إظهار العمل الأدبي بصورة فنية رائعة ، ومن أجل الكشف عن الجوانب الخفية من حياة هذه الشخصيات .

التوصيات :

يمكن الخروج بتوصيات في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث:

- التنقيب في فنون الأدب العربي؛ للوقوف على نفائس سردية، والكشف عن أبعادها البشرية والفنية، والاستعانة ببرامج الشبكة العنكبوتية في مرحلة البحث والاستقصاء.

- تكثيف الدراسات الأدبية التي ترتكز إلى ربط الأدب بالواقع المعيش، وتلمُّس ما فيه من مواقف مشابهة، فما الحياة إلاَّ تجارب مكرورة بتفاصيل مختلفة.

- عمل دراسة أسلوبية بلاغية لرسالة " النبا عن الوبا " لابن الوردي ؛ لما تحويه من محسنات بديعية وصور بلاغية .

الهوامش والتعليقات :

(1) ينظر: جائحة فيروس كورونا 2019– 20 – ويكيبيديا (wiki< http: //ar.m.wikipedia.org).

(2) ينظر: الأتابكي,: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي, النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبع دار الكتب , المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر , القاهرة، مصر، جـ10 / 195– 213.

([3]) ابن كثير: الحافظ عماد الدين إسماعيل القرشي, البداية والنهاية ط7, مكتبة المعارف , بيروت، لبنان , 1408هـ – 1988م, جـ 14/ 225 , 226.

([4]) السخاوي: شمس الدين محمد، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام , تحقيق: د. بشار عواد معروف وآخرون , مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د. ت وط), جـ 1/ 34, 35.

([5]) الحنفي: عبد الباسط الظاهري زين الدين, نيل الأمل في ذيل الدول ,تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري , ط1، المكتبة العصرية , صيدا, بيروت , لبنان، , 1422هـ – 2002 م , جـ1/ق1/ص171.

([6]) الحنفي: محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور , تحقيق: محمد مصطفى , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة، مصر، (د.ط) , 1402هـ– 1982م , جـ1/ ق1/ ص523.

([7]) ينظر: المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد , السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا , ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , 1418هـ – 1997م , 4/ 81–93.

([8]) ابن حجر العسقلاني ،شهاب الدين أحمد, الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة , مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية , حيدر أباد , الدكن , الهند , ط2, 1373هـ– 1954م , جـ 172/3 .

الشوكاني: محمد بن علي, البدر الطالع بمحاسن من بَعْد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي , القاهرة , مصر، (د.ط وت) , جـ 514/1.

([9]) الكتبي ،محمد بن شاكر, فوات الوفيات والذيل عليها , تحقيق: د. إحسان عباس , دار صادر , بيروت، لبنان، (د. ط وت) جـ3/ 157.

([10]) الصفدي، صلاح الدين, أعيان العصر وأعوان النصر , تحقيق: على أبو زيد وآخرون , ط1, دار الفكر المعاصر , بيروت – لبنان , دار الفكر دمشق سورية , 1418هـ – 1998م , جـ3/ 677.

([11]) ابن العماد الحنبلي الدمشقي , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , تحقيق: محمد الأرناؤوط , ط1 , دار ابن كثير , دمشق , سورية، بيروت , لبنان، 1406هـ – 1986م , جـ 275/8.

([12]) السبكي: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب , طبقات الشافعية الكبرى , تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي , دار إحياء الكتب العربية , بيروت، لبنان، (د.ط. ت) جـ 10 / 373.

([13]) نفسه : جـ10/ 373.

([14]) الأتابكي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي, النجوم الزاهرة: جـ240/10.

([15]) ينظر: ابن حجر العسقلاني ،شهاب الدين أحمد، الدرر الكامنة جـ172/3.

السخاوي: شمس الدين محمد، وجيز الكلام:جـ 1/ 34, 35.

ابن العماد الحنبلي الدمشقي, شذرات الذهب: جـ 8 /271.

([16]) ينظر: ابن الوردي: زين الدين عمر, تتمة المختصر في أخبار البشر, إشراف وتحقيق: أحمد رفعت بدوي , ط1, دار المعرفة , بيروت، لبنان، جـ497/2.

([17]) ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر الوردي الشافعي, ديوان ابن الوردي , تحقيق: عبدالحميد هنداوي , ط1,دار الآفاق العربية , مدينة نصر – القاهرة , مصر، 1427هـ – 2006م , ص87– 91.

([18]) ينظر: ضيف ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط 13، دار المعارف ، ص 15

([19]) ابن منظور، لمحمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور المصري , لسان العرب , دار صادر , بيروت ,جـ3/211, (سرد).

([20]) مرتاض، عبدالملك, ألف ليلة وليلة – تحليل سيميائي لحكاية حمَّال بغداد– , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , (د.ط) 1993م , ص84.

([21]) شريبط ،أحمد شريبط , تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة , دار القصبة للنشر , الجزائر , 2009, ص41.

([22]) يقطين، سعيد ، السرد العربي مفاهيم وتجليات ، ط1 ،دار الأمان ، الرباط ، الجزائر ، 1433هـ ، 2012م ، صـ 61.

([23]) حليفى ، شعيب ، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل ، رؤية للنشر والتوزيع ، 2015 م ، ص 13 .

([24]) فتحي ،إبراهيم معجم المصطلحات الأدبية , المؤسسة العربية للناشرين المتحدين , طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر , صفاقس, الجمهورية التونسية , ص37.

([25]) ينظر : نجم، محمد يوسف ، فن القصة ، ط1، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مكتبة مؤمن قريش للتوزيع ، 1996م ، صـ 89 .

([26]) بوعزة , محمد، تحليل النص السردي– تقنيات ومفاهيم– , ط1 , منشورات الاختلاف , الجزائر , 2010م , ص 87.

([27]) بحراوي، حسن بنية الشكل الروائي ، ط1 ,المركز الثقافي العربي , بيروت , لبنان، 1990م , ص 29.

([28]) عبدالرحيم ،رائد – دراسة نقدية , رسالة " النبأ عن الوبا " لزين الدين ابن الوردي 749هـ , مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) نابلس، فلسطين، مج 24 , ع 5، 2010م , ص 1501 , 1502.

([29]) ينظر: لحمداني ، حميد ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ط3،مركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2000م . ، صـ 71 .

([30]) نفســــــه: ص1499.

([31]) ابن الوردي، زين الدين ، ديوان ابن الوردي: 89.

([32]) زيتوني ، لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط1 ،مكتبة لبنان ناشرون ، ودار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان ، 2002م . صـ 113 ، 114 .

([33]) أندرسون، إنريكى, القصة القصيرة: النظرية والتقنية , ترجمة: علي إبراهيم علي , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , مصر، 2000م , ص 239, 240.

([34]) عوض، فادي أزمنة الوباء : السخرية والموت في مقامة ابن الوردي عن الطاعون، (د.ص) (www.medinaportal.com)

([35]) عزام, محمد الراوي والمنظور في السرد الروائي, سوريا , ديوان العرب , الخميس , 21 نيسان , ابريل 2016م.(https//www.diwanalarab.com)

([36]) ينظر : الكردي، عبد الرحيم ، الراوي والنص القصصي ، ط 2 ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 1417هـ ، 1996م ، صـ 101 : 102.

([37]) ينظر: ابن الوردي، زين الدين عمر، ديوان ابن الوردي: 91.

([38]) عبد الرحيم، رائد رسالة " النبا عن الوبا",ص1504, 1505.

([39]) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية: 135.

([40]) الجبوري، محمد حميد, البنية الداخلية للمسرحية , دراسات الحبكة المسرحية عربياً وعالمياً , ط1,منشورات ضفاف , بيروت – لبنان, 1434- 2013م,ص 75.

([41]) تميم ، علي ،السرد والظاهرة الدرامية , ط1,المركز الثقافي العربي الدار البيضاء , المغرب , 2003م, ص142.

([42]) ينظر : نجم، محمد يوسف ، فن القصة ، صـ 96 .

([43]) المونولوج الداخلي: هو حديث النفس للشخصية ، الرئيسة أو الثانوية ، وهو تعبير يفترض فيه النقل الأمين لنشاط واقع الوعي ، وهو سرد تلتزم فيه الكتابات للكشف عما يدور في نفوس شخوصها ، ينظر : علوش ،سعيد ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص 206 ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1405 هـ ، 1985م.

([44]) آية 30 ، سورة الشورى .

([45]) المقصود حديثه صلَّى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم به بأرض , فلا تقدموا عليه , وإذا وقع بأرض وأنتم بها , فلا تخرجوا فراراً منه" ينظر: النووي: يحي بن شرف, رياض الصالحين , تحقيق: شعيب الأرنؤوط , ط3 , مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان, 1422هـ – 2001م، (حديث 1/ 1791) ص 459 , 496.

([46]) يرجع إلى الشبكة العنكبوتية للاستزادة حول ذلك.

([47]) ينظر في الصفحات السابقة من هذا البحث ص10.

([48]) ينظر في الصفحات السابقة من هذا البحث ص11.

([49]) عبدالرحيم، رائد, رسالة " النبأ عن الوبا " دراسة نقدية , ص 1511.

([50]) فالح، جليل رشيد, فن الالتفات في مباحث البلاغيين , مجلة آداب، المستنصرية، بغداد , العراق، ع 9, 1984م , ص565.

([51]) ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون , مقدمة ابن خلدون , تحقيق: عبدالله الدويش , ط1, دار البلخي , مكتبة الهداية , دمشق , سورية، 1425هـ-1004م , جـ2/374, 375.

([52]) عبدالرحيم، رائد, رسالة " النبأ عن الوبا " دراسة نقدية , ص 1509, 1510.

([53]) عوض، فادي أزمنة الوباء : السخرية والموت في مقامة ابن الوردي عن الطاعون (د.ص).

([54]) عبد الرحيم ، راسد ، رسالة " النبأة عن الوبا" دراسة نقدية : 1019 .

([55]) الاقتباس: تضمن الكلام نثرًا أو شعرًا شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، ويجوز أن يغير المقتبس في الآية أو الحديث قليلاً ، كما يجوز أن يكون المقتبس ألفاظًا من آية . (ينظر : وهب ، مجدي ، والمهندس ، كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م ، ص56) .

([56]) جزء من آية 18 ، سورة الكهف .

([57]) جزء من آية 28، سورة الفتح .